## جماليات التصميم الصناعي في ضوء نظريات التفاعل الحديثة

### الفكر الجمالي والتصميم الصناعي

طرح Vitruvius المنظر الأول للعمارة، أن العمارة يجب أن ترضي ثلاث متطلبات مهمة وهي (٣٠٢، ص١١):

- القوة: التي تشمل مجالات قوانين السكون، والتركيب أو البناء، والمواد.
- المنفعة: التي تشمل مجالات استخدام البناء والوظائف التي يقدمها.
- الجمال: التي هي المتطلبات الجمالية للبناء.

وعلى الرغم من أن النظريات المعمارية تطورت بشكل ملحوظ منذ ذلك الوقت، إلا أن مبادئ Vitruvius لا تزال تملك تلك الجاذبية الحدسية والنظرية إلى يومنا هذا، ولنضع بالحسبان الآن مجال التصميم الصناعي إذ نرى أن الكثير مما يقدمه هذا التخصص يعتمد على المتانة وقوة المنتجات التي يقدمها مخصصوه وهو ما يتطابق مع المبدأ الأول من مبادئ Vitruvius.

المتطلب الثاني هو المنفعة، وقد تم بحث هذا الجانب من قبل الكثير من متخصصي التصميم الصناعي والتصميم بشكل عام، وهو يتعامل مع قضايا الحاجة الإنسانية وكيفية تصميم منتجات نحمل في تكوينها فكرة إرضاء تلك الحاجات الإنسانية على إختلاف أنواعها، بوضع الأساس لها في الوظيفة التي يقدمها المنتج وتقاس المنفعة التي يقدمها المنتج بمصطلحات مثل (الكفاءة والفاعلية) وفقاً للثوابت الموضوعية والتي تلعب دوراً مهماً في عمليات تقييم المنتج (جيد، كفء، متين) (٩٩، ص٣٢٦) وبعدها دخلت إلى العملية الحسابية في (جاسم خزعل بهيل ص٩٢)

نطاق المنفعة، العمليات الاستخدامية وكيف يكون المنتج سهل الاستخدام ومريح في عمليات الاتصال للحصول على وظيفته.

وكان للدراسات الجمالية، المبدأ الثالث من المبادئ التي حددها Vitruvius كمتطلبات يجب أن توفرها النتاجات التصميمية، دورها المهم في دراسات التصميم بشكل عام، فمنهم من درس الجماليات الشكلية وقال أن الجمال في نتاجات التصميم الصناعي هي جاليات شكلية مظهرية تعتمد على ما يمكن رؤيته في هيئة المنتج وأشكال الهيئة ومنهم من قال أن الجماليات تنطلق من المنفعة التي يقدمها المنتج.

أن تقييم وتقدير قطعة فنية هي عملية معقدة، إذ "تبدأ هذه العمليات بالإدراك، وتتبع بعد ذلك بالتوحيد بين صور الذاكرة حول الخبرات السابقة وما بين العمل الفني، ومن ثم يصنف العمل الفني وفقاً لمصطلحات الطراز والمضمون، أي تأويله (السيطرة المعرفية) ومن ثم تقييمه" (٢١٢، ص٤٩٣)، وتكون المخرجات النهائية لهذه المعملية هو ما أصطلح على تسميته بالحكم الجمالي للعمل الفني.

من الواضح أن مثل هذا الحكم يذهب إلى ما وراء التقدير المجرد لمواصفات العمل الفنية المرئية وبكلمة أخرى فإن قطعة فنية قد تكون جيدة من دون ضرورة أن تكون مرضية بصرياً، مثل فنون الدادا DaDa. (جاسم خزعل بهيل ص٩٣).

أو قد تكون مرضية بصرياً وخالية من القيمة النوعية، مثل الأعمال الفنية الخاصة بفن الـ (كيتج) Kitsch، وبهذا الشكل فإن الحكم الجمالي هو عملية واسعة النطاق وقد تصبح ذات قيمة جمالية لمجرد أن الشيء الذي يتم إطلاق الحكم عليه هو قطعة فنية.

وفقما يخص نتاجات التصميم الصناعي، نجد أن تصميم المنتج الصناعي فرصة متنوعة الجوانب في التسويق، "فالعديد من شركات الإنتاج الصناعي ركزت وبنجاح على تصميم المنتجات كأداة للتنافس" (٢٨٣، ص٢٣)، وأكدت الكثير من الدراسات على تأثير التصاميم الجدة للمنتجات الصناعية في النجاح التجاري لكن ماذا يعني ١لك في التطبيق العملي للمنتجات الصناعية؟ أي نوعية من تصاميم المنتجات الصناعية قد يقود إلى نجاح المنتج؟ وأية نوعية من قيم الجماليات التي يحويها المنتج تمثل بكونها المفتاح لنجاح المنتج؟ ولكي نكون قادرين على تحديد بعض الخطوط الإرشادية التي نستطيع من خلالها تطوير عمليات التصميم للمنتجات الصناعية، يجب أولاً أن ننظر إلى الدور الذي يلعبه المنتج في عمليات تقييم المستهلك لها.

كما أن هنالك الكثير من الحيثيات والأبعاد أو القيم التي يمكن أن نصنفها أو نضعها تحت خيمة لجمال وذلك لتنوع اتجاهات ومجالات الاتصال والتواصل بين المستخدم والمنتج الصناعي إذ يختلف المنتج الصناعي عن بقية النتاجات التصميمية لارتباطه بمجالات مختلفة من مجالات التفاعل الانساني والتي (جاسم خزعل بهيل ص٩٤).

اختلفت على ضوئها عمليات التقييم والتصنيف إذ هنالك ما يسمى بمتانة المنتج، وهنالك ما يسمى بكفاءة المنتج أو طبيعة أداء المنتج، أو ما عدد الوظائف التي يحويها المنتج، وهل أن المنتج سهل الاستخدام أو هل تحمل القيمة التفاعلية مع المنتج معنى جمالياً يتجاوز الاطر التقليدية للاستخدام وغيرها من الأبعاد التي تضع

المنتج الصناعي بمثابة المعبر الأكبر عن رغبات وتطلعات إنسان العصر الحالي، هذا الإنسان الذي أصبح أكثر تعقيداً وأكثر ذاتية مما عرف التاريخ البشري على مر العصور.

حينما نفكر بالمنتجات الصناعية بأنها "استطالة لحواسنا" (٣٤٢، ص٣٤)، عندها قد نعيد صياغة السؤال حول جماليات التصميم الصناعي على أنه المشكلة المحددة في إيضاح جماليات المنتجات الصناعية ذات التطبيقات التفاعلية الغنية، وهذا سيتطلب منا تحديد ما نعنيه بالضبط (بالجمال؟)، إذ يريد تعريف الجمال في بعض الأبحاث الفلسفية بأنه:

- قصدية - دوافع الفنان.
- تعبيرية – حينما تعلن الهيئة سيطرتها.
- تمثيلية – علاقة الفن بالواقع. (١١٤، ص١).

الواقع أن البحث في تعريفات الجمال قد تصيب الباحث ببعض الإرباك، ولك لتعدد وجهات النظر التي تناولت هذا المصطلح، فنحن قد نتخذ موقفاً تحليلياً لنرى الطرق والجوانب والأبعاد التي تم اعتماد التعريفات الجمالية فيها ونستمد معناه من استخداماته في السياقات المتعددة.

ولنأخذ نظرة مقربة على ما تعنيه مفردة الجمال وكيف تستخدم، قام الباحث بجمع بعض التعريفات أو الجمل التي قصد منها الباحثون إلى تعريف الجمال، وهي جمل تم نشرها في مجموعة من الأبحاث المتتبعة لجماليات المنتج الصناعي، وبالتحليل البسيط لما تطرحه هذه التعريفات قد نرى الارباك والفهم المتباين لما تعرضه، وهذه بعض نماذج الاستخدام لمصطلح الجماليات:

١.جماليات التصميم هي ما يتعلق بمفاهيم الهيئة والتعبير في التطبيق التصميمي.

٢.التطبيق التصميمي هو التأكيد على النوعيات الجمالية.

٣.جماليات المنتجات التي يتفاعل معها المستخدم تتطور وفقاً لعلاقتها بالمستخدم.

٤.جماليات التصميم الاستكشافية تختلف قليلاً عن الفن.

٥.عندما تدخل التكنولوجيا إلى المنزل، تبدأ الحاجة إلى الجماليات العملية.

٦.الاتجاهات المعاصرة تدعوا إلى تركيز قوي على جماليات تجربة المستخدم.

٧.أن هذه القصدية هي قصدية جمالية، وجمال من أجل الجمال، وتذهب إلى ما وراء الاهتمام بالمعنى.

٨.بأستخدام المنتج فنحن نتلقى أو نتسلم، ونلمس ونطبق فنحن في وسط الجمال. (جاسم خزعل بهيل ص٩٥)

٩.بعودتنا إلى الجماليات وفقاً للمقاربات الجدلية للتصميم فإن ذلك يتضمن مناح تحررية.

١٠.للجماليات جذورها الفلسفية والتي تعرف الجمال بأنه الإحساس المدرك للجمال. (١٤٧، ص٧٤)، (١١٤، ص٢).

من الواضح من الاستخدامات السابقة للجماليات، أن هنالك تنوع مذهل للطرق التي يستخدم بها مصطلح الجمال أو الجمال كمفهوم، وحينما نحاول أن نقوم باختيار أولي، فإننا من الممكن أن نختصر الاستخدامات السابقة للجمال إلى عبارات مثل: جماليات الهيئة، الجماليات النوعية للأشياء، جماليات العملية التصميمية، الجماليات كأحكام جدلية، والجمال كإحساس جمالي.

ولا زال هنالك بعض الإرباك فيما لو سألنا، هل الإحساس في الإحساس الجمالي يعني الإحساس بالجماليات المظهرية أم كمجموعة من العمليات الإدراكية للسمات والمواصفات التي يحويها المنتج، أم كلاهما؟ ولإيضاح المفاهيم الجمالية للتصميم الصناعي والخروج بنتائج تحقق هدف الدراسة، فإن الباحث سيعمد إلى إسقاط مفاهيم نظريات التفاعل التي تم عرضها في هذه الدراسة على المفاهيم الجمالية.